نظام الحوش في قرية صفّا خلال الفترة العثمانية المتأخرة

The Courtyard (*Hosh*) System in Saffa During the Late Ottoman Period

صلاح الهودلية

المعهد العالي للآثار، جامعة القدس، القدس، فلسطين

بريد إلكتروني: taannek@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠٠٥/٣/١٩)، تاريخ القبول: (٢٠٠٦/٤/١٢)

ملخص

لقد جاء تصميم الأحواش خلال الفترة العثمانية، على شكل كتل معمارية متلاصقة كانعكاس طبيعي للمفاهيم الثقافية الموروثة، وللتركيبة الاجتماعية السائدة، وكذلك للأوضاع الأمنية، والاقتصادية المعاشة لقطاع واسع من الشعب الفلسطيني. اشترك في الحوش الواحد ذوو القربى من العائلة نفسها، وقد حرصوا على عدم السماح للآخرين مشاركتهم في الحوش، وذلك حتى يتمكنوا من الحفاظ على خصوصياتهم الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى توزيع الكتل السكنية في التجمع العمراني الواحد إلى أحواش حسب رابطة الدم. وقد تباين حجم هذه الأحواش حسب عدد الأسر القاطنة فيها، وحسب قدرتهم الإقتصادية على إنشاء بيوت جديدة. وقد جاءت هذه الدراسة بعد ازدياد وتيرة الهجمة الشرسة من الأفراد، ومن بعض المؤسسات الرسمية على الأبنية التقليدية في قرية صفّا، وتدمير عدد كبير من الأحواش بشكل كامل، خلال السنوات الخمس الأخيرة، وذلك حتى تكون دراسة توثيقية، وتحليلية لنموذج من العمارة التقليدية، ولنشر الوعي بين السكان، وذلك بإظهار أهمية التراث الثقافي، بمدلولاته المختلفة للشعب الفلسطيني.

Abstract

The Ottoman courtyards were designed to form adjacent constructional blocks which reflect the cultural concepts, the dominant social structure, and the economical status for a large sector of the Palestinian community. The relatives shared the same courtyard, and they did not allow the others to use it with them in order to maintain their social privacy. This phenomenon led to distribute the courtyards according to the degree of blood relationship. The size of these residential blocks varies according to the size of the family, and their economical status. This study came after demolishing several courtyards in the last five years in Saffa village. In order to document a sample of the traditional buildings, and to raise the awareness of the cultural heritage between the inhabitants, this study will attempt to signify the danger of such negligence.

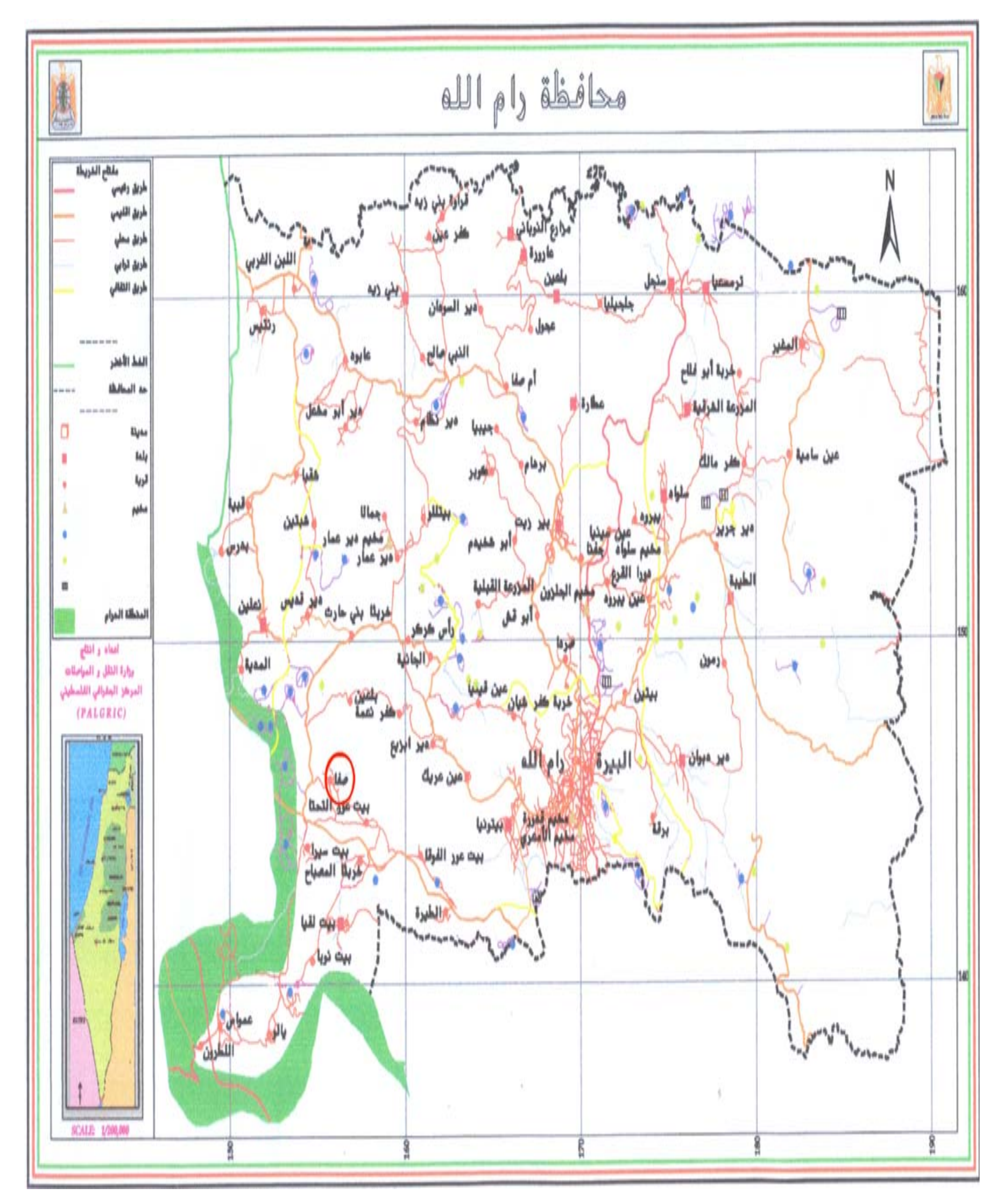
الإطار التاريخي والاجتماعي للقرية

تقع قرية صفّا على بعد حوالي ١٦كم إلى الغرب من مدينة رام الله (شكل ١)، وعلى مسافة ٢٢ كم تقريباً إلى الشمال الغربي من مدينة القدس. يبلغ متوسط ارتفاع المنطقة المأهولة بالسكان عن سطح البحر حوالي ٣٥٠م. ويعتبر مناخ القرية معتدلاً، حيث يبلغ متوسط درجة الحرارة ٢٨° صيفاً، و ٩ ْ شتاءً، ويبلغ متوسط هطول الأمطار الشتوية فيها حوالي ٥٥٠ ملم[١].

وبناءً على نتائج دراسة الشواهد الأثرية الثابتة والمنقولة، مثل: الأبنية المعمارية، أو بقايا منها، وآبار مياه، وكسر من آنية فخارية، وقطع نقدية، التي عثر عليها خلال أعمال موسم المسح الأثري، الذي أجراه المؤلف في صيف عام ٢٠٠١م، فإنه من الواضح بأن الموقع تم سكنه خلال الفترات الرومانية، والبيزنطية، والاسلامية المبكرة، والمتاخرة، واستمر السكن فيه حتى الوقت الحاضر[٢]. تركزت مباني القرية العثمانية بطرز معمارية مختلفة، في المنطقة المعروفة باسم "نواة القرية القديمة" من حول المسجد. وقد تعرض كثير منها خلال العقود الثلاثة الأخيرة للهدم؛ بسبب الهجران، وتوسيع شبكات الطرق، أو بسبب بناء إنشاءات معمارية جديدة مكان البيوت القديمة. وتتشابه الطرز المعمارية القائمة في صفّا مع ما هو قائم في كثير من القرى الفلسطينية، مع وجود خصوصيات إنشائية، وفنية.

(١) (الهودلية، ٢٠٠٤، ص ٦).

(٢) (الهودلية، ٢٠٠٣، ص ٤-٨).



شـكل (١): خارطــة محافظــة رام الله، وتبـين موقــع قريــة صــفّا. إعـداد وانتــاج وزارة النقـل والمواصلات. بتصرف. (المركز الجغرافي الفلسطيني. مقياس الرسم ١: ٢٠٠.٠٠٠).

تتكون التركيبة الاجتماعية في قرية صفّا من عشيرة الأمير محمد قراجا[٣]، وحمولة الفلنة[٤]، ومن لاجئي عام ١٩٤٨م[٥]. بلغ عدد سكانها في عام ١٩٢٢م حوالي ٤٩٥ نسمة. وقد ارتفع تعدادهم حسب احصاءات عام ١٩٣١م إلى ٦٤٤ نسمة، منهم ٣٢٤ ذكر، و٣٢٠ أنثى. قدر تعدادهم في عام ١٩٤٥م بحوالي ٧٩٠ نسمة. وفي إحصاءات عام ١٩٦١م بلغ تعدادهم ١٣٦٤ نسمة، منهم ٦١١ ذكر، و٧٥٣ أنثى[٦]. وتشير نتائج إحصاءات عام ١٩٩٧ إلى أن تعدادهم قد ارتفع إلى ٢٨٥٧ نسمة، منهم ١٤١٨ ذكر و ١٤٣٩ أنثى[٧] . أما الإحصاء الذي أجري تحت إشراف المؤلف فيفيد بأن عدد سكان القرية حتى ٢٠٠٠/٧/١٥م قد بلغ ٣١٨٢ نسمة، منهم ١٥٨٦ ذكر، و١٥٩٦ أنثى[٨].

أنواع العمارة السكنية التقليدية ومواد بنائها في قرية صفّا

العمارة التقليدية هي تلك البيوت التي شيدت من دون استخدام الإسمنت في البناء، بالإضافة إلى اعتماد الطرق التقليدية الموروثة في تنفيذ أعمال بناء العناصر المعمارية الأساسية، مثل: الجدران، والسقوف، والأرضيات[٩]. يوجد في القرية ثلاثة أنواع من البيوت التقليدية، وهي البيوت "قاع البيت والمصطبة"[١٠]، والسقايف، والعلالي[١١]. ويقوم الأفراد الموسرون، والأكثر قربى من الحمولة الواحدة باختيار مساحة كافية لإنشاء بيوتهم عليها بشكل متلاصق من ثلاث جهات، لساحة مشتركة لتشكل بذلك نظام الحوش. ولا يسمح أصحاب هذه المجموعة من البيوت

---

(٣) وهو محمد بن علي بن حسن الرفاعي الهاشمي، وقد لقب بالأمير محمد قراجا (كراجة) بعد أن انتصر على الإفرنج في معركة دارت رحاها في سوريا، مما أدى إلى استدعائه من ملك الشام، وطوّقه، أي جعل من حول عنقه طوقاً دليلاً على الرفعة، والتشريف، وأمّره، أي جعله أميراً. وقد توفي الأمير محمد في سنة ٩٠١ هـ، ودفن في الجامع الصغير في دمشق (الهودلية، ٢٠٠٣، ص ١٥، حاشية ٥٥).

(٤) وهي تتكون من مجموعة عائلات بأصول عشائرية مختلفة، وقد قدمت تباعاً إلى قرية صفّا من بقاع جغرافية مختلفة (الهودلية، ٢٠٠٣، ص ٣).

(٥) تتكون التركيبة الاجتماعية للاجئين في قرية صفّا من دار أبو بكر، ودار معالي، ودار خطاب، وهم من قرية البرج، ومن دار حمّاد، وهم من قرية بير إماعين، ومن دار حمد، وهم من قرية البرية، ودار شنينة، ودار علقم، وهم من قرية برفيليا (الهودلية، ٢٠٠٣، ص ٣، هامش ٨- ١١).

(٦) (الدباغ، ١٩٨٨، ص ٣٦٤).

(٧) (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ١٩٩٩، ص ٩٩).

(٨) (الهودلية، ٢٠٠٣، ص ٤).

(٩) (عياش، ٢٠٠٠، ص ٣٨).

(١٠) يطلق على المستوى السفلي من البيت مصطلح قاع البيت، ويطلق مصطلح المصطبة على الجزء المستخدم للمعيشة، وللنوم من المستوى العلوي من نفس البيت.

(١١) ومفردها عليّة، وهي عبارة عن غرفة مربعة تشيد فوق المستوى العلوي من البيوت.

لأي من أفراد الحمائل الأخرى، بانشاء سكن خاص بـه بين بيوتهم، الأمر الذي أدى إلى توزيع النسيج المعماري للبيوت السكنية في القرية حسب رابطة الدم. وتتألف البيوت في غالبيتها من طابقين متصلين مع بعضهما بواسطة درج داخلي. وقد استخدم الطابق السفلي لإيواء الحيوانات ليلاً، ولتخزين بعض المواد ذات الاستخدام اليومي والموسمي، والطابق العلوي للمعيشة وللنوم(١٢).

وتعتبر الحجارة، والتربة، والشّيد، والمواد العضوية، وكذلك المياه المواد الأساسية لبناء البيوت. وقد تم الحصول على الحجارة إما من مقالع حجرية في المنطقة المعروفة باسم "القرعة" الواقعة على الحدود الشرقية للقرية، أو من بقايا البيوت القديمة المهدمة في القرية، والخرب المحيطة بها(١٣). أما التربة، وهي الأكثر وفرة، فقد تم الحصول عليها من جراء حفر خنادق الأساسات، أو من مناطق قريبة. وقد فضّل السكان أن تكون هذه التربة من النوع الناري بعد إضافة نسبة الثلث إليها من التربة الكلسية. وفي حالة عدم توفر التربة النارية، فإن البنائين قد استخدموا التربة الرمادية، والكلسية بعد خلطهما بنسبة متقاربة، وإضافة الماء، والقصول(١٤)، والرماد(١٥)، والشيد إليها. وقد قام السكان بتصنيع الشيد في المنطقة المحيطة، وبالأخص في الأماكن التي يتوفر فيها الحجر الكلسي، والمواد المشتعلة، مثل: الحطب، والنباتات البرية(١٦).

أما السقايف فقد كانت قليلة العدد، وتكونت من غرفة واحدة قد يضاف إليها غرفة جانبية، وسلسلة حجرية منخفضة. بنيت جدرها من حجارة متوسطة الحجم، وطين بسماكة تتراوح ما بين ٥٠ ـــ ٨٠سم. أما سقوفها فكانت مستوية، وشيدت من جذوع، وأغصان الأشجار، بالإضافة إلى طبقة من الطين المخلوط مع القش(١٧) . وقد خلت السقايف من اللمسات الفنية المميزة مثل وضع زخارف حجرية في الواجهات الخارجية للبناء، أو طلاء الواجهات الداخلية بطبقة قصارة من الشّيد.

---

(١٢) للمزيد من المعلومات حول وظيفة البيوت انظر عراف، ١٩٨٦، ص ٤٩-٥٣،

Dalman, 1941, p. 152- 170, Hirschfeld, 1995, p. 132- 135, Hawari, 2004, p. 257- 262

(١٣) ويضيف السيد عبد الرحمن أحمد ناصر، ٨٠ سنة، أن المحاجر في منطقة القرعة بقيت قيد الإستخدام حتى منتصف الستينات من القرن العشرين، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م.

(١٤) وهو الجزء الخشن من سيقان النباتات الشتوية (حمدان، ١٩٩٦، ص ٥٢٢).

(١٥) ويطلق عليه بالعامية مصطلح السكن، وهو ناتج عن اشتعال الأخشاب، والأعشاب، وباقي المواد العضوية. ويمكن الحصول على كميات كبيرة منه من الطوابين (حمدان، ١٩٩٦، ص ٥١٧).

(١٦) (السيد عبد الفتاح سمارة ناصر، ٩٥ سنة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م. وللمزيد من المعلومات حول تصنيع الشيد أنظر عرّاف، ١٩٨٦، ص ٥٩-٦٣، ربيع، وآخرون، ١٩٨٧، ص ١٢٢- ١٢٣، حمدان، ١٩٩٦، ص ٥٢٤-٥٤٨، (Canaan, 1933, p. 19).

(١٧) للمزيد من المعلومات حول طريقة بناء السقايف أنظر (حمدان، ١٩٩٦، ص ٢٨٩- ٢٩١، Canaan, 1933, p. 54-57).

أما بخصوص العلالي، والتي تعتبر أفضل أنواع المساكن، وذلك لارتفاعها، ولإطلالتها على المحيط، ولنقاء هوائها، فقد كان عددها خلال الفترة العثمانية قليلاً جداً. وكانت تبنى مباشرة فوق أحد البيوت، ويتم الوصول إليها من ساحة الحوش بواسطة درج حجري. وقد استخدمت لاستقبال الضيوف، ولالتقاء رجال العائلة المهمين، بالإضافة إلى النوم. وتختلف العلالي عن البيوت بعدم وجود قاع البيت، وبوجود أكثر من شباك منخفض في جدرها.

التوزيعة المكانية للاحواش

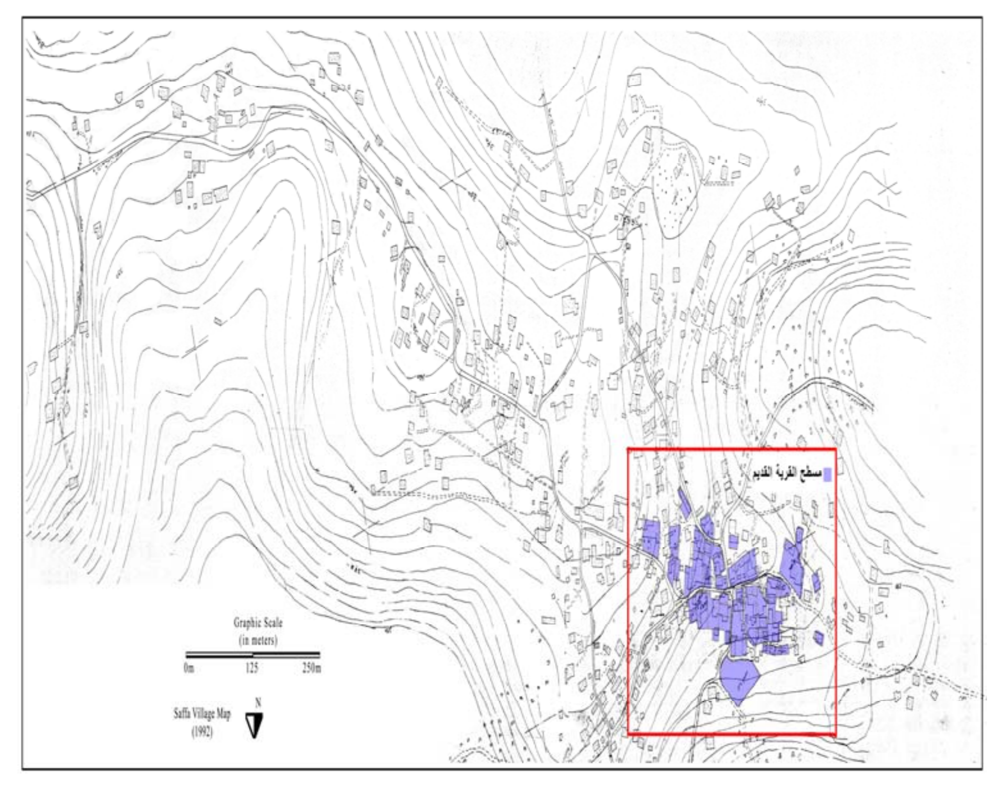
أقيمت الأحواش العثمانية في القرية على رقعة تصل مساحتها إلى ٣٥٠ x ١٢٥م، وجاءت على شكل كتل معمارية تختلف فيما بينها من حيث الحجم والتخطيط (شكل ٢ و٣). وتنفصل هذه الكتل عن بعضها البعض بواسطة طرق ترابية ضيقة تسمح بمرور الإنسان والحيوانات المحمّلة. وقد جاء توزيع الأحواش بناءً على ملكية الأرض، ورابطة الدم[١٨]، حيث قام العديد من أفراد الحمولة الواحدة بإنشاء أحواشهم إلى جوار بعضها مع الحفاظ على استقلالية كل حوش.

وقد جاء اختيار حوش دار ناصر لهذه الدراسة لأسباب عدة، أهمها؛ أولا: إنّ هذا الحوش يمثل بعمارته نموذجا تقليديا للأحواش في قرية صفا. ثانيا: إنّ معظم بيوت هذا الحوش ما زالت قائمة، وإن ساحته المكشوفة لم تستغل لأي نشاط عمراني جديد، في حين أن معظم الأحواش الأخرى في القرية قد هدمت بشكل جزئي، أو كلي. ثالثا: لتوثيق ركن اساس من التراث العربي الأصيل، وتوريثه إلى الأجيال القادمة، خاصة أن العمارة التقليدية في أرجاء الوطن تتعرض إلى هجمة شرسة.

---

(١٨) لمقارنة توزيع الأحواش في قرية صفّا معه في بعض المناطق الفلسطينية أنظر العامري وتماري

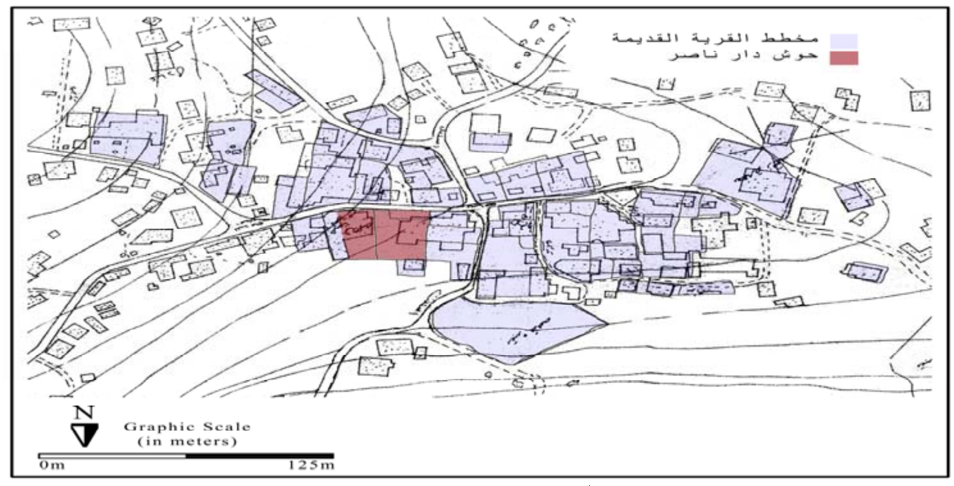
Amiry and Tamari, 2003, p. 17.



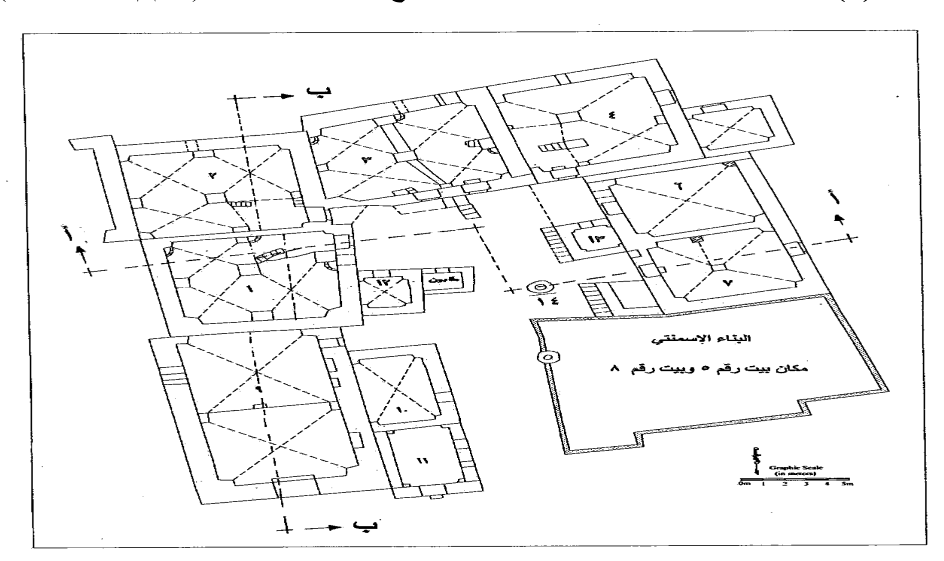
شكل (٢): مخطط قرية صفّا في عام ١٩٩٢م. بتصرف عن مخطط مصدره م. محمد حماد. (رسم م. سوزان مطر).

تخطيط حوش دار ناصر

يأخذ تخطيط هذا الحوش شكل U (شكل ٤)، وقد بلغت مساحته الإجمالية حوالي ٩٧٠م²، استغل منها حوالي ٧٥٥م² لبناء منشآت عمرانية مختلفة الوظيفة، مثل: المعيشة، والنوم، وإيواء الحيوانات، وتركت البقية في المنتصف مكشوفة. تكونت معظم البيوت المحيطة بالساحة من مستويين؛ إما أن يكونا مرتبطين مع بعضهما بواسطة درج حجري داخلي (شكل ٥: مقطع أ-أ، ب-ب، وشكل ٦)، أو أن يكونا منفصلين بمدخلين مختلفين (شكل ٥: مقطع أ-أ، ب-ب، وشكل ٧). أما البيوت الأخرى فقد تكونت من طابق واحد بمدخل يفتح مباشرة على الساحة المكشوفة. وقد أضيف لاحقاً على أطراف هذه الساحة عدة بيوت صغيرة الحجم نسبياً، وقبوين، وطابون. يوجد في الساحة بئران نحتا في الصخر الطبيعي، وقد فصل الحوش عن الطريق المحاذي بواسطة سور مرتفع تخلله مدخلان.

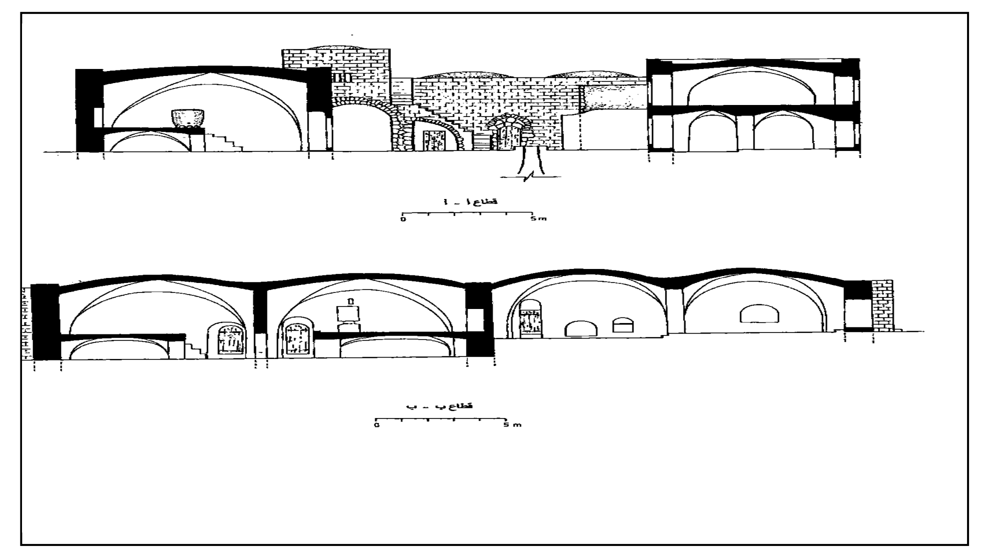


شكل (٣): مخطط القرية القديمة - صفّا، ويظهر موقع حوش دار ناصر. (رسم م. سوزان مطر).



شكل (٤): مخطط حوش دار ناصر- صفّا. الرفع المعماري من عمل الباحث في عام ٢٠٠٤م، (رسم م. سوزان مطر).

مفتاح الشكل: ١: بيت رقم ١. ٢: بيت رقم ٢. ٣: بيت رقم ٣. ٤: بيت رقم ٤. ٦: بيت رقم ٦. ٧: بيت رقم ٧. ٩: بيت رقم ٩ (البّد). ١٠: بيت رقم ١٠. ١١: بيت رقم ١١. ١٢: بيت رقم ١٢. ١٣. بيت رقم ١٣. ١٤. بئر ماء.



شكل (٥): مقطع أ- أ، ومقطع ب- ب لحوش دار ناصر. (رسم إبراهيم إقطيط).



شكل (٦): بيت رقم ش، ويمثل بيوت الحوش ذات المستويين بمدخل واحد، المستويان مرتبطان مع بعضهما بواسطة درج داخلي. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤)

الوصف، والتحليل المعماري لبيوت الحوش

تتباين البيوت فيما بينها من حيث التصميم، والحجم، وذلك تبعاً لأدائها الوظيفي، والوضع الاقتصادي لساكنيها، وكذلك لعدد أفراد الأسرة القاطنين فيها. ويمكن تصنيف هذه البيوت اعتماداً على تصميمها الداخلي إلى ثلاثة أنواع، الأول: بيوت بمستويين فوق بعضهما البعض. الثاني: بيوت بمستوى واحد. الثالث: العلالي. ويمكن تصنيف القسم الأول إلى قسمين، أ. بيوت بمستويين مرتبطين مع بعضهما البعض بواسطة درج داخلي، ولها مدخل واحد (شكل ٤: بيت ١، ٢، ٣، ٤، والبيت رقم ٥ قد تم هدمه، وبني مكانه بناء إسمنتي). ب. بيوت بمستويين منفصلين بمدخلين مختلفين (شكل ٤: بيت رقم ٦-٧، والبيت رقم ٨ قد تم هدمه، وبني مكانه بناء إسمنتي).

١. أ. بيوت بمستويين مرتبطين مع بعضهما البعض بواسطة درج داخلي

(شكل ٤: بيت رقم ١-٤)

يوجد في الحوش خمسة بيوت من هذا النوع، وقد صممت بشكل مربع أو مستطيل بمساحة تتراوح ما بين ٨م x٨م - ٨م x١٠م. بنيت واجهاتها الخارجية بحجارة متوسطة، وكبيرة الحجم على شكل مداميك أفقية شبه منتظمة، وقد أستخدمت المونة الطينية، والحجارة الصغيرة لتثبيتها، وللحفاظ على مستواها الأفقي[(١٩)]. حجارتها منتظمة الشكل، وتختلف فيما بينها من حيث النوع، والحجم، واللون، بالإضافة إلى درجة إتقان تشذيب سطحها (شكل ٧- ٨). وتمتاز الحجارة المزيّة المستخدمة في البناء بلونها الأبيض، وبحجمها المتوسط، وبرداءة تشذيب سطحها الخارجي. وبعد مقارنة هذه الحجارة مع الصخور في محيط القرية، وكذلك سؤال كبار السن[(٢٠)]، فإنه من الراجح بأنها قد جلبت من محاجر القرعة. أما الحجارة الكلسية فإنها تمتاز بحجمها الكبير نسبياً، وبلونها الضارب إلى الصفرة، بالإضافة إلى إتقان قطع حوافها، وتشذيب سطحها الخارجي. يلاحظ وجود تجاويف صناعية على بعض هذه الحجارة في مستويات متفاوتة من الواجهات، الأمر الذي يعني أن هذه الحجارة قد أعيد استخدامها بعد نقلها من الخرب المحيطة بالموقع. ويتراوح ارتفاع الواجهات الأمامية لهذه البيوت ما بين ٤.٦م- ٥.٢م.

---

(١٩) للمزيد من المعلومات حول تقنية بناء البيوت التقليدية أنظر كنعان (Canaan, 1933, p. 19)، وهرشفيلد (Hirschfeld, 1995, p. 112- 131)، والعامري وتماري (Amiry and Tamari, 2003, p. 25-26).

(٢٠) (السيد عبد الرحمن أحمد ناصر، ٨٠ سنة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م، السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).



شكل (٧): بيت رقم ٧، ويمثل بيوت الحوش ذات مستويين بمدخلين مختلفين. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).



شكل (٨): حوش دار ناصر- صـــفّا، وتظهر طريقة بناء الواجهات الخارجية، ونماذج من المداخل. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

يتم الدخول إلى كل بيت بواسطة مدخل يقع عند أحد طرفي واجهته الأمامية. وقد بنيت حواف المداخل بحجارة منتظمة القطع، ومتقنة التشذيب على شكل عقود رومية، ويوجد في أسفل كل منها عتبة حجرية ترتفع حوالي ٢٥سم عن مستوى أرضية الساحة المكشوفة، وحوالي ٤٠سم عن مستوى أرضية قاع البيت. وقد كانت تغلق بواسطة أبواب خشبية مثبتة في الغالب من جهتها اليمنى بواسطة عمود خشبي قائم ينغرس قليلاً من طرفيه في تجويفين نحتا في الحجر (شكل ٩: أ- ب). وتتراوح ارتفاعات مداخل هذه البيوت بين ١,٨م-٢,٥م، وبذلك فان نسبة ارتفاع المداخل إلى ارتفاع الواجهات الأمامية تنحصر بين ١: ٢ و ١: ٢,٥. ومن الراجح بأن اختيار موقع المدخل بالقرب من نهاية أحد طرفي الواجهة الأمامية ينسجم مع مبدأ الحفاظ على الخصوصية الاجتماعية لسكان البيت، حيث لا يستطيع من هو في ساحة الحوش أن يكشف ما يدور على المصطبة حتى وإن كان الباب مفتوحاً. ويمتاز مدخل بيت رقم ٤ عن المداخل الأخرى بوجود نقش زخرفي على مفتاح قوس الباب (شكل ١٠).



شكل (٩- أ): مدخل بيت رقم ١.
(تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).



شكل (٩- ب): مدخل بيت رقم ٢، .
(تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).



شكل (١٠): نقش زخرفي على حجر الغلق لمدخل بيت رقم ٤ . (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

ويؤدي المدخل مباشرة إلى ساحة داخلية استخدمت كموزع إلى المستوى السفلي، والعلوي، بالإضافة إلى استخدامها لإيواء الحيوانات الكبيرة التي يفوق ارتفاعها مستوى سقف قاع البيت. تختلف مساحة هذه الساحات فيما بينها، فمنها الواسع، ومنها الضيق نسبياً. وتشترك البيوت ذات الساحة الداخلية الواسعة بوجود مربط حجري، خشبي، أو معدني مثبت في الواجهة الداخلية على ارتفاع حوالي ١.٥م، الأمر الذي قد يعني أن هذه الساحات استخدمت لإيواء الجمال. أما الساحات الضيقة فقد كانت توفر الحد الأدنى من حرية الحركة للإنسان من وإلى المستوى العلوي. تتكون أرضيات هذه الساحات، والتي تعتبر امتداداً طبيعياً لأرضيات قاع البيت، من الصخر الطبيعي، والتربة المرصوصة. وينحدر مستواها بشكل غير منتظم نحو قاع البيت، وذلك حتى تمنع تسرب بول الحيوانات، وتجمعها بالقرب من المدخل. وعلى الرغم من الإيجابيات الوظيفية العديدة للساحة الداخلية، إلا أن لها سلبيات، أهمها: المساهمة في تلويث جو المستوى العلوي، وذلك لسماحها للروائح، والغازات المنبعثة من الحيوانات الموجودة في المستوى السفلي بالانتقال إلى المستوى العلوي للبيت لتفسد هواءه.

وترتبط الساحة الداخلية بشكل مباشر مع قاع البيت الذي كان يستخدم لإيواء الحيوانات، والطيور الداجنة، بالإضافة إلى خزن الأدوات الزراعية. يتكىء سقف قاع البيت على مجموعة

ركب(٢١) تلتقي المتناظرة منها مع بعضها مشكلة عقوداً متقاطعة(٢٢) بارتفاع يتراوح ما بين ٤.١- ٢م. وقد بني الجزء السفلي لمعظم الركب بحجارة كبيرة منتظمة القطع، وتداخلت حجارتها مع مداميك الواجهات الداخلية لجدران البيوت. وبالارتفاع قليلاً عن مستوى الأرضية تأخذ الركب بالإنحناء المنتظم نحو الداخل، وتنفذ أعمال بنائها بحجارة مستطيلة، ورقيقة، وغير منتظمة الشكل باستخدام المونة المكونة من الشيد المخلوط مع التراب. يستند سقف قاع البيت في البيوت الصغيرة بالأساس على أربع ركب ركنية تبدأ من الأرضية، ولكن وبسبب كبر مساحة بيوت هذا النوع فإن سطح قاع البيت فيها صمم ليتكيء على ٧-٩ ركب، وزعت لتكون واحدة منها في المنتصف، وأربع ركنية، والباقي جانبية حيث تقتضي الضرورة الإنشائية.

تتكون أرضية قاع البيت من الصخر بتعرجاته الطبيعية في بعض المناطق، ومن التربة المحلولة في معظم أجزائها، وتنحدر في العادة باتجاه الجدار الخلفي للبناء. توجد على أطراف الأرضية عدة مذاود(٢٣) مبنية بحجارة متوسطة الحجم، وبالقرب منها وعلى ارتفاعات متباينة تم تثبيت مرابط حجرية، أو خشبية. ويذكر السيد شكري خليل(٢٤) أن الحيوانات الكبيرة كانت تربط إلى جوار المذاود، أما صغارها فقد كانت دائماً حرة الحركة. تخلو واجهات قاع البيت من الطاقات النافذة، وقد يعود السبب في ذلك الى مبدأ تعارف عليه سكان الأحواش يضمن فيه الفرد عدم إزعاج محيطه السكاني. وقد لوحظ وجود مصرف على مستوى أرضية قاع البيت في بيت رقم ٣ مقابل فتحة في عتبة المدخل، يعتقد بأنها استخدمت في تصريف مياه الأمطار المتجمعة في ساحة الحوش.

يتم الصعود إلى المستوى العلوي للبيت بواسطة درج حجري مبني على طرف الساحة الداخلية. ويتكون هذا المستوى من قسمين (المصطبة والراوية(٢٥)) يفصل بينهما صف من الخوابي(٢٦) يتخلله مدخل ضيق نسبياً (شكل ١١).

---

(٢١) مفردها ركبة، وتعرف باسم دعامة، ومنها الدعامة الركنية التي تطلق على الحجر، أو الحجارة المقامة عند زوايا البناء من الداخل حتى تساعد في حمل السقف (غالب، ١٩٨٨، ص ٢٠٥- ٢٠٦).

(٢٢) تعرف هذه العقود في المنطقة باسم العقود الصليبية.

(٢٣) مفردها مذود، وهو معلف الدابة (البغدادي، ١٩٥٧، ص ٩٠). ويعرف بالعامية باسم مدود.

(٢٤) (السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، وكان أحد سكان هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٢٥) الراوية: وهي الجزء الخلفي من المستوى العلوي، وتكون أرضيتها في العادة على نفس مستوى أرضية المصطبة.

(٢٦) مفردها خابية، وهي بناء طيني بأحجام، واشكال مختلفة. وقد كانت تستخدم لخزن الحبوب، والزبيب، والقطين (حمدان، ١٩٩٦، ص ٦٧٥). وتعرف في محافظة الخليل باسم الصومعة (الجبور، ٢٠٠٣، ص ٦٥)، وفي الأردن باسم الكوارة (بيفرس، ١٩٩٣، ص ١٩).



شكل (١١): بيت رقم ١، المستوى العلوي، وتظهر الراوية، والمصطبة مفصولتان ببقايا صف من الخوابي، وكذلك السقف، بالإضافة إلى قوسين في الواجهة الغربية. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

وتستخدم المصطبة، والتي تكون الأقرب إلى الدرج، للمعيشة وللنوم، أما الراوية فتستخدم لخزن التبن، وجرار الزيت، والطحين .... الخ. وليس بالضرورة أن تتناسب مساحة المصطبة طردياً مع عدد أفراد الأسرة، خاصة إذا كان مالك البيت مزارعاً نشيطاً، وتنتج حقوله محاصيلاً وفيرة يحتاج الفائض منها إلى خزين. تنحصر مساحة المستوى العلوي ما بين ٤١- ٥٥م²، وتبلغ نسبة مساحة المصطبة إلى المساحة الكلية حوالي ٤٥%. وإذا افترضنا أن متوسط عدد أفراد العائلة القاطنين معاً على نفس المصطبة في ذلك الوقت كان سبعة اشخاص، فإن نصيب كل فرد من أفراد الأسرة في مساحة المصطبة كان يتراوح ما بين ٢.٦- ٣.٥ م².

يتكئ سقف المستوى العلوي في هذه البيوت على أربع ركب ركنية تبدأ من الأرضية، وتتقاطع المتناظرة منها في منتصف العقد على ارتفاع يتراوح ما بين ٣.٥- ٣.٩م عن أرضية المصطبة، وبذلك فإن نسبة ارتفاع سقف قاع البيت إلى ارتفاع سقف المصطبة تبلغ ١ :٢,٢ في المتوسط. ويعلو سقف المصطبة من الخارج قبة منخفضة ترتفع قمتها حوالي ٥٠سم عن مستوى الجدران الجانبية. وقد أضيف في النصف الثاني من القرن الماضي على أسطحها الخارجية طبقة رقيقة نسبيا من الإسمنت (شكل ١٢). يوجد في الواجهات الداخلية للمصطبة عدة طاقات غير نافذة على ارتفاعات متباينة، وبأحجام تتراوح ما بين ١٥× ١٥× ٢٠سم- ٤٠× ٤٠× ٣٠سم. وقد استخدمت المرتفعة منها لطيور الحمام، والمنخفضة لوضع قناديل الزيت، والكبريت،

والقطع النقدية، وإبر البابور ... الخ. يوجد في كل بيت طاقة نافذة واحدة تقع في أعلى أحد الجدران، ويبلغ متوسط أبعادها حوالي ٤٠× ٤٠سم. يلاحظ بأن موقع الطاقة النافذة كان بالأساس في أعلى الجدار الخلفي، إذا كان البناء غير ملاصق لأبنية أخرى، مثل: بيوت رقم ٢، ٣ و ٤، وفي أعلى الجدار الأمامي إذا كان البيت محاذياً للشارع العام، أو ملاصقاً لأبنية أخرى، أو إذا كانت ملكية قطعة الأرض الواقعة خلف البيت لغير سكان الحوش، مثل: البيتين رقم ١ و٩. ومن الراجح بأن وظيفة هذه الطاقات كانت تنحصر في التهوية، والإنارة، والسماح لأشعة الشمس بالدخول إلى المصطبة إن أمكن. يوجد في إحدى الواجهات الداخلية لمعظم البيوت قوس لحفة واحد، باستثناء بيت رقم ١ الذي تحتوي واجهتاه الجنوبية والغربية على ثلاثة أقواس، بالإضافة إلى بيت رقم ٤ الذي تخلو واجهاته الداخلية من أي منها. ويبلغ متوسط أبعاد هذه الأقواس ١.٨م طولاً × ١.٧م ارتفاعاً × ٤٥ سم عمقاً. كسيت أرضية المستوى العلوي، وكذلك واجهتيه الداخليتين بطبقة سميكة نسبياً من القصارة المكونة من الشّيد المخلوط مع القش، وذلك لإغلاق الفراغات ما بين الحجارة، وتسوية سطحها الخارجي، بالإضافة إلى إضفاء الصفة الجمالية على الواجهات الداخلية للجدران، ولعمل أرضية صلبة توفر حرية الحركة، ونظافة أمتعة السكان، وفراشهم.



شكل (١٢): حوش دار ناصر – صـــفّا، تظهر القباب المنخفضة، وعليها طبقة إسمنتية. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

لقد طرأت عدة تغييرات وتعديلات على تصميم البيوت وعناصرها الإنشائية منذ اواخر الفترة العثمانية وحتى الوقت الحالي، أهمها؛

أولاً: أجريت بعض التعديلات الإنشائية على المستوى العلوي لبيت رقم ١، منها: ١. فتح شباك واسع على ارتفاع منخفض في الواجهة الشرقية، وآخر ضيق في الواجهة الغربية، وقد بنيت حوافهما بالإسمنت. ٢. تمت تسوية أرضية المصطبة بطبقة سميكة نسبياً من مادة الإسمنت (شكل ١١). ويذكر السيد محمود سليم ناصر(٢٧) أن هذا البيت هجر في عام ١٩٧٣م. وقد أثّرت النباتات البرية النامية على سطحه، وبين حجارة واجهاته الخارجية بشكل سلبي على متانته، مما أدى إلى تصدعه في بعض المناطق.

ثانياً: كان المستوى السفلي للبيت رقم ٢ بالأصل مفتوحاً على المستوى السفلي في بيت رقم ١، مما يعني أن أصحاب هذين البيتين كان لهم وحدة اجتماعية، واقتصادية قوية. وقد أضيفت في فترة لاحقة سلسلة حجرية بينهما، الأمر الذي يعني أن ذرية أصحاب البيتين قد عاشوا فيما بعد باستقلالية اقتصادية. ويذكر السيد شكري خليل(٢٨) ان هذا البيت تم هجرانه في عام ١٩٧٩م بعد أن انهار سقفه بشكل مفاجيء على الأمتعة دون أن يلحق الأذى بالسكان.

ثالثاً: بعد فترة طويلة نسبياً من بناء واستخدام بيت رقم ٣ تم تقسيمه إلى قسمين لمالكين مختلفين، الأمر الذي أدى إلى إجراء بعض التعديلات الإنشائية التي تضمن خصوصية الملكية. وأهم هذه التعديلات، هي: ١: فتح مدخل جديد إلى الغرب من المدخل الأصلي بارتفاع ١.٦م. وقد بنيت حوافه بشكل غير متقن، الأمر الذي أدى إلى هدم أجزاء منه في فترة لاحقة، مما حدى بالسكان لإعادة بنائه بمادة الإسمنت (شكل ١٣). ٢: إزالة جزء صغير من سقف قاع البيت في المنطقة المحاذية للمدخل الجديد لعمل ساحة داخلية صغيرة تتيح الحد الأدنى من حرية الحركة من وإلى البيت. ٣: بناء جدار حجري بعرض ٤٠سم باتجاه شمال جنوب على إرتفاع المستوى العلوي في وسط البيت. ٤: تم تقسيم قاع البيت بواسطة سلسلة حجرية إلى قسمين متساويين تقريبا. ٥: ومع نهاية القرن التاسع عشر تم بناء عليّة على سقف البيت من الجهة الجنوبية الغربية(٢٩)، وتم وصلها مع ساحة الحوش بواسطة درج حجري (شكل ١٢، ١٤). ويذكر السيد نائل حسين(٣٠) أن هذا البيت، والعليّة قد هجرا في عام ١٩٧٠م.

---

(٢٧) (السيد محمود سليم ناصر، ٤٢ سنة، وكان أحد سكان هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٢٨) (السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، وهو مالك هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٢٩) (السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، وكان أحد سكان هذا الحوش، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٣٠) (السيد نائل حسين ناصر، ٤٠ سنة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).



شكل (١٣): حوش دار ناصر- صفّا، بيت رقم ٣، المدخل الشرقي والغربي، والدرج المؤدي إلى العليّة . (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).



شكل (١٤): حوش دار ناصر- صفّا، العليّة، وعلاقتها مع البيوت والساحة المكشوفة . (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

رابعاً: أضيف بيت صغير إلى الواجهة الشرقية للبيت رقم ٤. وقد ترافقت هذه الإضافة مع فتح مدخلين في الواجهة الشرقية للبيت رقم ٤، أحدهما في المستوى السفلى، والثاني في المستوى العلوي. هجر هذا البيت في عام ١٩٧٤م، وقد أعيد استخدامه في عام ٢٠٠٢م لتربية الطيور بعد أن أجري على مدخله بعض الترميمات بمادة الإسمنت، واستبدال بابه الخشبي بباب حديدي[٣١].

خامساً: يذكر السيد جمعة حسن ناصر[٣٢] ان بيت رقم ٥، والذي كان يتشابه مع بيت رقم ١، قد هجر في عام ١٩٧٠م، وتم هدمه في عام ١٩٩٠م، وأنشىء مكانه بناء اسمنتي يستخدم حاليا محلاً تجاريا.

١. ب. **بيوت بمستويين منفصلين** (شكل ٤: بيت رقم ٦- ٧)

وجد في الحوش ثلاثة بيوت من هذا النوع، هدم واحد منها بشكل كامل (بيت رقم ٨)، وأنشىء مكانه بناء اسمنتي. وقد صممت هذه البيوت بشكل مستطيل بمساحة تتراوح ما بين ٦ x ٨م – ٧ x ٨م. وبنيت واجهاتها الخارجية بحجارة متوسطة، وكبيرة الحجم، وقد نفّذت أعمال بنائها بنفس تقنيات البناء للواجهات الخارجية في البيوت السابقة. تحتوي الواجهات الأمامية، والتي يتراوح ارتفاعها ما بين ٥.٥- ٩.٥م، على مدخلين. يقع السفلي منهما في منتصف الواجهة، والعلوي بالقرب من أحد طرفيها. بنيت حواف المدخل في المستوى السفلي بحجارة منتظمة القطع، ومتقنة التشذيب إما على شكل عقد رومي (شكل ٧)، أو بشكل مستو (شكل ١٥)، ويوجد في أسفل كل منها عتبة حجرية ترتفع حوالي ٢٠سم عن أرضية الساحة المكشوفة، وما بين ١٥ – ٤٠سم عن أرضية المستوى السفلي.

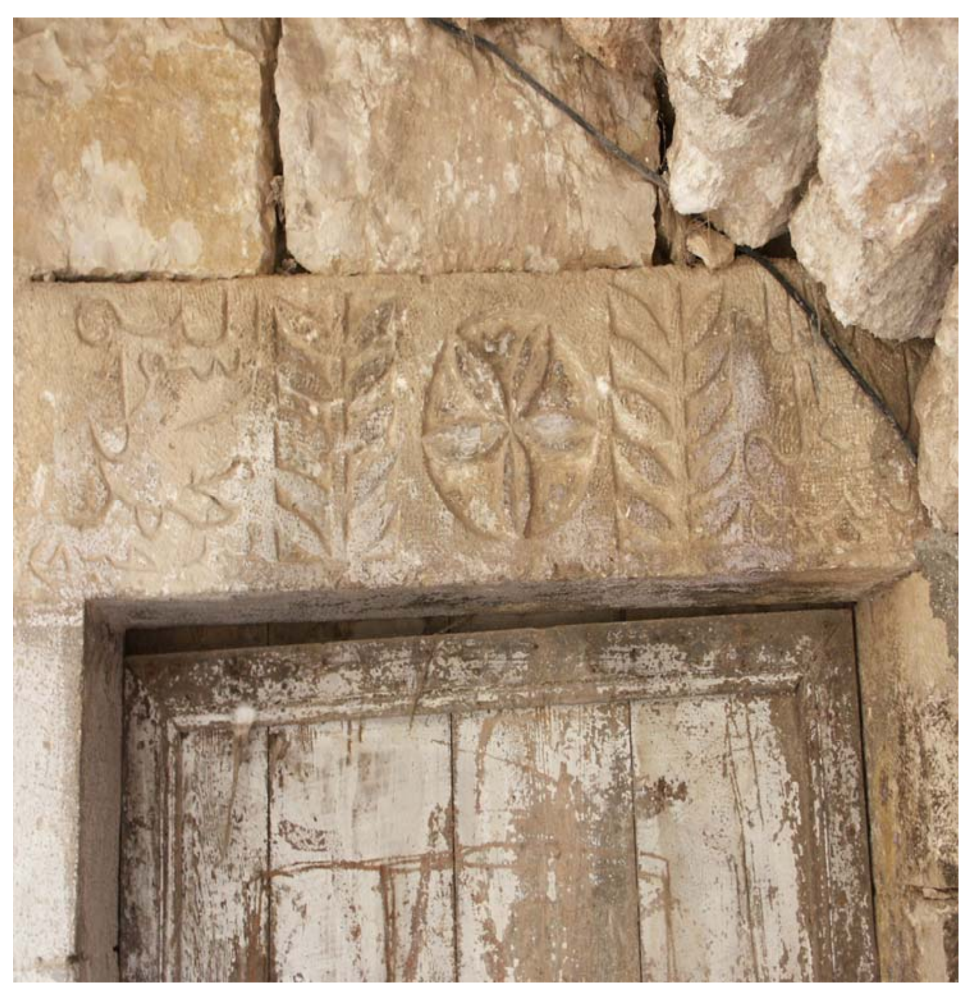


شكل (١٥): حوش دار ناصر- صفّا، بيت رقم ٦، المدخل السفلي والرواق. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

(٣١) (السيد عمر هلال ناصر، ٤٥ سنة، و كان أحد سكان هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٣٢) (السيد جمعة حسن ناصر،٥٣ سنة، وكان أحد سكان هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

ويمتاز مدخل بيت رقم ٦ بوجود نقش يحمل تاريخ الإنشاء (شكل ١٦). أما مدخل المستوى العلوي فقد بني على شكل عقد رومي، أو بشكل مستوٍ (شكل ٧، ١٧). وتتراوح ارتفاعات مداخل هذه البيوت ما بين ١.٨ -١.٩٥م، وبذلك فإن نسبة ارتفاع المدخل إلى الواجهة الأمامية تنحصر ما بين ١: ٢.٧ و ١: ٢.٨.



شكل (١٦): حوش دار ناصر - صفّا. نقش زخرفي، وكتابي على المدخل السفلي لبيت رقم ٦. وقد نقش في الجهة اليمنى "لا اله الا الله، سنة"، وفي الجهة اليسرى "محمد رسول الله، في رجب ١٢٨٠" {هـ}. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

استخدم المستوى السفلي لإيواء الحيوانات، والطيور الداجنة، وكان سقفه يتكىء على ٤-٦ ركب تلتقي امتدادتها على مستوى ارتفاع المدخل. وتتكون أرضيته من التربة المحلولة وينحدر مستواها قليلاً باتجاه الجدار الخلفي. يوجد على اطراف الأرضية عدة مذاود مبنية بحجارة متوسطة الحجم، وبالقرب منها وعلى ارتفاعات متباينة تم تثبيت مرابط خشبية. وتنطوي عملية فصل المستوى السفلي عن العلوي على إيجابيات كثيرة، أهمها: الحد من تلويث جو المستوى العلوي، وذلك بمنع الغازات، والروائح المنبعثة من الحيوانات الموجودة في المستوى السفلي من الإنتقال إلى المستوى العلوي، وكذلك توفير درجة عالية من النظافة، بالإضافة إلى الحد من ازعاج الحيوانات للسكان في أثناء الليل.

وللوصول إلى المستوى العلوي فقد بنيت غرفة صغيرة الحجم، أو قبو مباشرة إلى الواجهة الأمامية، ودرج حجري خارجي ملاصق للواجهة الغربية لهذه الإضافات الإنشائية ليؤدي إلى سقفها، ومن ثم إلى مدخل المستوى العلوي (شكل ١٧). استخدمت كامل مساحة هذا المستوى كمصطبة، وقد اتكأ سقفه على أربع ركب ركنية تبدأ من الأرضية، وتتقاطع المتناظرة منها مع بعضها على ارتفاع ٣م عن مستوى الأرضية. يعلو السقف من الخارج قبة منخفضة ترتفع عن مستوى الجدران الجانبية حوالي ٥٠سم.



شكل (١٧): حوش دار ناصر- بيت رقم ٦ و ٧، نماذج من المداخل بعقود رومية. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

يذكر السيد شعيب رجب[٣٣] بأن بيت رقم ٦ كان بالأصل مقسماً إلى مصطبة وقاع البيت، وكان يطلق عليه اسم البيت الجديد. وقد كانت المصطبة في الجزء الخلفي للبيت، ويرتفع مستواها حوالي ١م عن مستوى قاع البيت. وبعد فترة وجيزة من ثورة عام ١٩٣٦م تم إعادة التقسيم الداخلي للبيت ليتكون من مستويين بمدخلين مختلفين. وحتى يتم الوصول من أرضية ساحة الحوش إلى سقف بيت رقم ٤، ومن ثم إلى سقف هذا البيت، فقد تم بناء رواق اتكأ سقفه على الواجهة الشمالية للغرفة الأمامية، والواجهة الجنوبية للبيت رقم ٤ (شكل ١٥). قام مالكو بيت رقم ٧ في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ببناء رواق، وغرفة واسعة نسبياً على الواجهة الشرقية لبيتهم، وأضافوا إلى جوارهما فيما بعد غرفاً جديدة لتشكل حوشاً مستقلاً بمدخل خاص. وقد أدت هذه الاضافات بمالكي الحوش الجديد إلى اجراء بعض التعديلات الإنشائية على البيت القديم، كان أهمها فتح مدخلين بمستويين مختلفين في الواجهة الشرقية. هجر هذا البيت، وكذلك الأبنية الأخرى المجاورة والعائدة لنفس المالك في عام ١٩٧١م[٣٤]، ولم تتم عليها أية ترميمات منذ ذلك التاريخ، الأمر الذي أدى إلى الحاق الضرر بها بدرجات متفاوتة.

٢. **بيوت بمستوى واحد** (شكل ٤: بيت رقم ٩- ١٣)

يوجد في الحوش سبعة بيوت من هذا النوع، هدم منها اثنان بشكل كامل، واثنان بشكل جزئي، وبقي ثلاثة قيد الإستخدام. أنشئت هذه البيوت بإضافة ثلاثة جدر إلى واجهات بيوت قائمة، وقد صممت بشكل مربع، أو مستطيل بمساحة متفاوتة تتراوح ما بين ٢.٦x ٣.٢م- ٩ x ١٥م. بنيت واجهاتها بحجارة متوسطة، وكبيرة الحجم بنفس تقنية بناء البيوت السابقة، وقد تراوح ارتفاع جدارها الأمامي ما بين ٢.٣- ٣م. شيدت حواف مداخلها بحجارة منتظمة القطع، وسقفت بعقود رومية، أو بشكل مستوٍ بارتفاع ينحصر ما بين ١.٣- ١.٨م، وبذلك فإن نسبة ارتفاع المداخل إلى ارتفاع الواجهات الأمامية تنحصر ما بين ١: ١.٦ - ١: ١.٧. اتكأ سقف البيوت الصغيرة منها على أربع ركب، والكبيرة على ست ركب ركنية تقاطعت المتناظرة مع بعضها في المنتصف.

يعتبر بيت رقم ٩ (ألبّد) أكبر هذه البيوت، حيث يتكون من عقدين متجاورين مفتوحين على بعضهما (شكل ٥: مقطع ب – ب). استخدم الجزء الجنوبي منهما، والذي كانت أرضيته ترتفع كثيراً عن مستوى أرضية الجزء الشمالي، لتجميع ثمار الزيتون في حجرات بنيت باحجام متباينة على حوافه الداخلية. أما الجزء الشمالي فقد استخدم لدرس الثمار بواسطة حجرين كبيرين مثبتين مع بعضهما في المنتصف، وقد كانا يداران بواسطة خشبة طويلة تمتد عبر فتحة بالقرب من الزاوية الشمالية الشرقية إلى ساحة الحوش، حيث كان يوجد الجمل، أو الفرس الذي يقوم بالدوران لتحريك الحجرين. وقد وجد إلى جوار حجري الدرس مكبس حديدي لعصر الثمار

---

(٣٣) (السيد شعيب رجب ناصر، ٧٠ سنة، وكان أحد سكان هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م. وأيده في ذلك السيد كمال زهدي، ٧٢ سنة، والذي سكن في هذا البيت فترة وجيزة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٣٤) (السيد دولار عطية ناصر، ٦٢ سنة، وكان أحد سكان هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

المهروسة، وإلى الجوار منه كان يفصل الزيت عن السوائل الاخرى[٣٥]. ويوجد في الواجهة الشرقية من الداخل ثلاثة اقواس، أكبرها الذي يقع في الجزء الجنوبي للبناء، حيث يبلغ اتساعه ١.٤م عرضا × ١.٢م طولا x ٤٠سم عمقاً.

هجر هذا البيت في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين[٣٦]، وقد أعيد استخدامه كمحل تجاري في عام ١٩٧٣م بعد أن أجريت عليه تعديلات انشائية، كان أهمها؛ اولاً: توسيع مساحة مدخل البيت وتسوية حوافه بالإسمنت. ثانياً: رفع مستوى أرضية الجزء الشمالي من البناء باضافة كميات كبيرة من الطمم ليكون على انخفاض حوالي ٤٠سم عن مستوى أرضية الجزء الجنوبي. ثالثاً: توسيع مساحة الطاقة النافذة التي كانت بالقرب من الزاوية الشمالية الشرقية لتصبح مدخلاً ثانوياً يفتح على ساحة الحوش. رابعاً: فتح شباكين متقاربين بمساحة ٦٠ × ٦٠سم تقريباً لكل منهما في الجزء الشمالي من الواجهة الغربية. خامساً: كساء الواجهات الداخلية والسقف، وكذلك الأرضية بطبقة إسمنتية سميكة نسبياً[٣٧].

بني مباشرة إلى الواجهة الشرقية لهذا البيت بيتان صغيرا الحجم نسبيا (شكل ٤: بيت رقم ١٠- ١١). وقد هجر بيت رقم ١٠ في عام ١٩٧٠م، الأمر الذي أدى إلى هدم سقفه بالكامل، وكذلك أجزاء كبيرة من جداره الشرقي خلال العقدين الأخيرين. أما بيت رقم ١١، والذي يتشابه مع بيت رقم ١٠ من حيث الشكل والتصميم الداخلي، فقد أعيد استخدامه في عام ١٩٨٠م بعد أن أجريت عليه تعديلات إنشائية[٣٨]، كان أهمها؛ أولاً: إزالة الركب الركنية الأربع، ووضع مكانها أعمدة إسمنتية. ثانياً: هدم السقف، وإعادة بنائه بالإسمنت المسلح. ثالثاً: اغلاق المدخل الأصلي الذي كان يؤدي إلى الحوش (شكل ١٨)، وفتح مدخلاً جديداً في الواجهة الجنوبية. رابعاً: رفع مستوى الأرضية، ومدها بطبقة إسمنتية. خامساً: كساء الواجهات الداخلية للبناء بطبقة إسمنتية سميكة نسبياً.

بني بيت رقم ١٢ ملاصقاً للواجهة الشرقية للبيت رقم ١. ويذكر السيد محمود سليم أن هذا البيت قد هجر في عام ١٩٦٧م[٣٩]، مما ادى بقوى العوامل الطبيعية، والحضارية لتدميره حتى ارتفاعات منخفضة. وشيد إلى جواره طابون، وقد كان يستخدم من سكان الحوش للخبيز، ولطبخ

(٣٥) (السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، وكان أحد سكان هذا الحوش، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م. والسيد محمد عبد القادر ناصر ٦٥ سنة، وهو صاحب هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٣٦) (السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٣٧) (السيد محمد عبد القادر ناصر، ٦٥ سنة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٣٨) (السيد عطية العبد جبر ناصر، ٥٠ سنة، وهو أحد مالكي هذا البيت، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٣٩) (السيد محمود سليم ناصر، ٤٢ سنة، وكان من سكان بيت رقم ١، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

بعض المأكولات، وللشوي، بالاضافة إلى التدفئة في الأيام الباردة(٤٠). أما بيت رقم ١٣ فقد بني مباشرة أمام بيت رقم ٦، وما زال يستخدم لتخزين بعض الأدوات الزراعية، والتبن.



شكل (١٨): حوش دار ناصر- المدخل الأصلي لبيت رقم ١١، وقد أغلق بواسطة حجارة. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤).

٣. العلالي

يوجد في الحوش عليّة واحدة، وقد شيدت على سطح بيت رقم ٢ و٣ بمساحة داخلية تصل الى ٣x٢،٨م. بنيت واجهاتها، والتي ترتفع في المتوسط ٣م، بحجارة متوسطة، وكبيرة الحجم على شكل مداميك أفقية، وقد استخدمت المونة الطينية المخلوطة مع نسبة عالية من الشّيد، وكذلك الحجارة الصغيرة في ملء الفراغات بين مداميكها. يقع مدخلها في منتصف الواجهة الشرقية، وقد سقف بشكل مستوٍ بواسطة حجر مستطيل يحمل زخارف تتشابه مع الزخرفة الموجودة على مدخل بيت رقم ٤. يبلغ اتساع المدخل حوالي ١،٦م ارتفاعاً و ٨٠ سم عرضاً، وبذلك فإن نسبة ارتفاع المدخل إلى الواجهة الأمامية تبلغ ١: ١،٨٥. ويوجد في الواجهة الجنوبية شباكان منخفضان يفتحان على ساحة الحوش، بحيث يستطيع الجالس في داخل العليّة مراقبة ما

---

(٤٠) للمزيد من المعلومات حول طريقة بناء الطابون وأجزائه وطريقة عمله أنظر هرشفيلد (Hirschfeld, 1995, p. 140- 141)، العامري وتماري (Amiry and Tamari, 2003, p. 20-25).

يدور في الساحة المكشوفة. تكونت أرضية العليّة من طبقة سميكة نسبياً من الملاط المكون من الحوّر[٤١]، وقد أضيف عليها لاحقاً طبقة إسمنتية رقيقة. يتكىء سقف البناء على أربع ركب ركنية، وتتقاطع المتناظرة منها في المنتصف على ارتفاع ٣م، ويعلوها من الخارج قبة منخفضة أضيف عليها طبقة إسمنتية.

يتم الوصول إلى هذا البناء بواسطة درج حجري بنيت قاعدته ما بين مدخلي بيت رقم ٣. ويذكر السيد شكري خليل[٤٢] أن العليّة بنيت في زمن السيد إبراهيم حسين، والذي عاش في أواخر الفترة العثمانية، وأن جزءها الغربي قد هدم بسبب انهيار سقف بيت رقم ٢. وتتشابه هذه العليّة مع نظائرها في عين قينيا، والجيب، وقلندية، وبيت حانون[٤٣]، وفي حوش الصغير، وأبو رمح في جنين[٤٤]، وفي حوش الجبور، والجبارين في بلدة يطا[٤٥]، وعابود[٤٦]، وبني زيد[٤٧]، وعطارة[٤٨]، بالإضافة إلى عليّة دار ابن يوسف، ودار أبو غراب، ودار الهودلية في صفّا.

ساحة الحوش

وهي ساحة مكشوفة تحيط بها البيوت السكنية من ثلاث جهات (شكل ٤)، وكانت جهتها الرابعة مغلقة بواسطة سور. وقد كانت المساحة الكليّة لساحة الحوش تسمح بالتوسع العمراني الأفقي في حالة زواج أحد الأبناء، أو انضمام إحدى النساء المطلقات، أو الأرامل إلى أفراد عائلاتهن، وذلك بإضافة جدارين، أو ثلاثة على واجهات الأبنية القائمة لتصبح المساحة المحصورة بيتاً منفصلاً يأوي المحتاج. يوجد في الساحة بئران، استخدما في توفير المياه طيلة اشهر السنة لسكان الحوش، ولمواشيهم. وكانت المياه تتجمع فيهما عن أسطح البيوت السكنية، ومن الساحة المكشوفة ذات الأرضية الترابية. وقد لعبت الساحة المكشوفة دوراً مهماً في تهوية البيوت السكنية، خاصة انها كانت خالية من الشبابيك. ويذكر السيد شكري خليل[٤٩] أن هذه الساحة كانت تستخدمها النسوة لإنجاز الكثير من أعمالهن اليومية فيها، ومن الأطفال لقضاء

(٤١) ويعرف بحوّارة، وهو ناتج عن حجارة كلسية طرّية. ويستخدم بعد خلطه بحطام القش في بناء جدر، وأسقف البيوت، وفي المواقد، وكذلك في الأرضيات (غالب، ١٩٨٨، ص ١٤٥).

(٤٢) (السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، وهو مالك هذه العليّة، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

(٤٣) (حمدان، ١٩٩٦، ص ٢٣٨-٢٦٣).

(٤٤) (عيّاش، ٢٠٠٠، ص ٩٤، ٩٧).

(٤٥) (الجبور، ٢٠٠٣، ص ٢٤- ٢٩).

(٤٦) (المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، ٢٠٠٣أ، ص ٦).

(٤٧) (المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، ٢٠٠٣ب، ص ١٤- ١٥).

(٤٨) (المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، ٢٠٠٣ج، ص ٧).

(٤٩) (السيد شكري خليل ناصر، ٨١ سنة، وكان أحد سكان الحوش، مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤م).

ساعات طوال في اللهو واللعب، وكذلك من سكان الحوش لإقامة طقوس الأفراح، والأحزان الخاصة بهم.

أحاط بساحة الحوش من الجهة الجنوبية سور مرتفع امتد من الزاويه الجنوبية الشرقية للبيت رقم ٩ وحتى الزاوية الجنوبية الغربية للبيت رقم ٥ وتخلله مدخلان. بني المدخل الرئيس بحجارة متقنة التشذيب، وأعمدة جانبية على شكل عقد بارتفاع ٢.٥م وبعرض ٢.٢م، وكان يغلق بواسطة باب خشبي يتكون من دفتين. هدم هذا المدخل في عام ٢٠٠١م في اثناء حملة المجلس القروي لتوسيع الشوارع الداخلية، وقد تم نقل حجارته وأعمدته لتوضع عند السيد عطية ناصر للحفاظ عليها. وإلى الشرق من هذا المدخل عمل مدخل آخر صغير الحجم، وكان يؤدي إلى نفس الحوش.

تاريخ إنشاء الحوش

اعتماداً على توزيع ملكية الحوش بنسب متفاوتة على ذرية مصطفى، وشقيقه أحمد بن جودة بن ناصر، وكذلك على العلاقة ما بين العناصر الإنشائية من جدران، وركب، وعقود، بالإضافة إلى تحليل تقنيات، ومواد البناء، فإنه من الراجح بأن مصطفى بن جودة قد قام ببناء بيت رقم ١ وبيت رقم ٢ متزامنا مع بناء شقيقه أحمد ببناء بيت رقم ٥، وبيت رقم ٨. ولكون سقف بيت رقم ٢ قد اتكأ على ركب بنيت الغربية منها مباشرة إلى الواجهة الخارجية لأحد البيوت في حوش دار نصر المجاور (شكل ١٩)، فإنه من المؤكد بأن بعض البيوت في حوش دار نصر كانت أقدم منها في حوش دار ناصر. ثم تلا ذلك بناء بيت رقم ٩، وذلك بإضافة ثلاثة جدران إلى الجنوب من بيت رقم ١. وقد قام سكان الحوش في وقت لاحق بإضافة ثلاثة جدران مستخدمين الواجهة الشرقية للبيت رقم ٢ لإنشاء بيت رقم ٣. وبعد فترة زمنية تم إضافة ثلاثة جدران جديدة تعامد منها اثنان مع طرفي الواجهة الشرقية للبيت الأخير، وذلك لإنشاء بيت رقم ٤. وقد تم فيما بعد تشييد بيت رقم ٦ و٧ بجدار فاصل فيما بينها. ويفيد السيد جمعة حسن، والسيد سعيد نمر، والسيد دولار عطية[٥٠] بانه بعد هدم الجدار الشمالي للبيت رقم ٨ فقد بقي بيت رقم ٧ بدون جدار جنوبي، الأمر الذي يؤكد أن بناء البيت رقم ٧ قد جاء متاخراً عن بناء بيت رقم ٨، وبالتالي بيت رقم ٥.

---

(٥٠) (السيد جمعة حسن ناصر، ٥٣ سنة، السيد سعيد نمر ناصر، ٧٢ سنة، السيد دولار عطية ناصر، ٦٢ سنة. وقد كانوا من سكان الحوش، وهم من مالكي بعض بيوته. مقابلة شخصية في عام ٢٠٠٤).



شكل (١٩): حوش دار نصر الملاصق لحوش دار ناصر. الجزء المقابل في الصورة بدّ الزيتون، والمعروف ببيت البيتوني. (تصوير الباحث في عام ٢٠٠٤م).

وبناءً على نقش موجود في أعلى مقدمة مدخل بيت رقم ٦، والذي يحمل تاريخ الإنشاء (شكل ١٦)، فإنه من الواضح بأن بيت رقم ٦، وبالتالي بيت رقم ٧ قد بنيا في عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م). واعتماداً عليه، وقياساً على مقدرة أفراد العائلة الواحدة على بناء بيوت جديدة، فإنه من المرجح بأن أوائل بيوت هذا الحوش قد شيدت مع نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر الميلادي.

من الواضح بأن سور الحوش بمدخليه قد بني خلال الفترة الواقعة ما بين انشاء بيت رقم ٥، وبيت رقم ٩ من جهة، وإنشاء بيت رقم ١١ من جهة أخرى، وذلك لأسباب ثلاثة: أن نهايتي السور تلاصقت مع الواجهات الخارجية للبيتين المذكورين أعلاه من دون أن تتداخل معهما. ثانيا: أن بيت رقم ١١ بني مباشرة إلى الواجهة الداخلية للسور. ثالثا: أن البيت الذي كان امام بيت رقم ٥ بني كذلك بثلاثة جدران إلى الواجهة الداخلية للسور.

المناقشة

ينتمي تخطيط حوش دار ناصر إلى التقليد المعماري المتبع في بناء الأحواش خلال الفترة العثمانية المتأخرة في فلسطين، والذي تمثل في بناء بيوت متلاصقة من حول ساحة مكشوفة تنفصل عن الطريق المحاذي بواسطة سور مرتفع يتخلله مدخل واحد، أو اثنان. وقد شيدت البيوت متلاصقة، وبجدران مشتركة استجابة للظروف الأمنية المتردية بسبب غياب مركزية

الحكم في المرحلة المتأخرة من الفترة العثمانية، ولطبيعة اقتصاد الإنسان المتمثل بالأساس في الفلاحة، وتربية الحيوانات، وللعادات، والتقاليد الاجتماعية، ولتعزيز ثبات، ومتانة البناء، وكذلك إلى توفير الوقت، والجهد، والمواد الخام اللازمة لإنشاء بيوت جديدة، بالإضافة إلى تجذير مفهوم ديني يعبر عن وحدة أبناء الأمة، فهم بتوادهم وتراحمهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. ويتشابه هذا الحوش من حيث الشكل العام مع العديد من الأحواش في قرى، وبلدات، ومدن فلسطينية، منها: حوش آل سحويل في قرية عبوين، وحوش في قرية عين قينيا (محافظة رام الله) (٥١)، وحوش الصغير، وحوش أبو رمح في مدينة جنين(٥٢)، وحوش الجبارين في بلدة يطا(٥٣)، وحوش دار نصر، وحوش دار منصور، وحوش دار الشيخ احمد، وغيرها في قرية صفّا.

تتعرض الأحواش في صفّا، ومنها الحوش موضوع الدراسة، كغيرها من الأبنية التقليدية في المراكز العمرانية المختلفة في أنحاء فلسطين إلى التدمير. وتشترك العوامل الحضارية الناتجة عن النشاط الإنساني الممنهج مع العوامل الطبيعية في تهديد كينونة التراث المعماري، الأمر الذي قد يؤدي خلال فترة وجيزة نسبياً إلى تشويه الصورة الحقيقية لنتاج حقبة زمنية تركت بصماتها واضحة في ميادين التراث الثقافي المتعددة. وهناك العديد من الأسباب التي أدت خلال النصف الثاني من القرن الماضي، وبدايات هذا القرن إلى تدمير كم هائل من البيوت التقليدية، أهمها؛ أولاً: هجران هذه البيوت، والانتقال للعيش في منازل حديثة. ويعود السبب في ذلك الى زيادة عدد أفراد الأسرة الواحدة في ظل عدم تمكنهم من التوسع الأفقي في نطاق الحوش. وفي حالة رغبة شخص في العودة للسكن في الحوش فان آماله غالباً ما تخيب بسبب التحديات المالية المطلوبة لإعادة صيانة، وترميم البناء، وبسبب الثقافة المستجدة، والتي تحمل في ثناياها ضرورة وجود مرافق معمارية بوظائف متكاملة في نفس مكان السكن، والتي يصعب تطبيقها في الوحدات السكنية التقليدية لمحدودية مساحة البيوت، ولعمومية ملكية الساحة المكشوفة. ثانياً: المخططات الهيكلية محدودة المساحة، والتي وضعت لكافة المراكز العمرانية دون مراعاة لظاهرة تفتت الملكية، وللزيادة الطبيعية في عدد السكان. ان ازدياد عدد أفراد التجمعات السكنية بنسبة تفوق المساحة المسموح إنشاء بيوت جديدة عليها في ظل عدم تفعيل القوانين، والتشريعات الخاصة بحماية التراث، أدى إلى هجرة عكسية من المحيط إلى المركز، وبالتالي إلى هدم البيوت التقليدية لإنشاء عمائر حديثة. ثالثاً: غياب الانسجام ما بين الجيل الجديد

---

(٥١) (حمدان، ١٩٩٦، ص ٢٣٥- ٢٤٠).

(٥٢) (عياش، ٢٠٠٠، ص ٨٢- ١٠٧، شكل ٤: ٤، وشكل ٤: ٦).

(٥٣) (الجبور، ٢٠٠٣، شكل ٢٤).

بثقافته الدخيلة، والموروث الثقافي، والمعماري، والتحيز إلى كل شيء جديد، حتى بات معظم الجيل الشاب ينظر إلى الأبنية التقليدية القريبة من مكان سكنه وكأنها عنوان للتخلف[٥٤].

الخلاصة

يعتبر حوش دار ناصر من الأحواش المركبة التي تتكون من بيوت كثيرة استخدمتها عدة أسر من نسل جد واحد. وجاء تخطيطه منسجما مع معظم الأحواش في القرية، وملبياً للإحتياجات الإجتماعية، والإقتصادية، والأمنية المختلفة. وقد أدت التركيبة الثقافية المستجدة على المجتمع إلى هجران هذه الأحواش، مما أدى إلى تدمير معظمها. ومن الراجح أن تصاعد وتيرة تدمير البيوت التقليدية سيؤدي خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً إلى طمس جزء مهم من تراث الشعب العربي الفلسطيني، وتشويه معالم هويته الأصيلة، ما لم تقم المؤسسات الحكومية، والخاصة، والأهلية بمسؤلياتها. وقد انعكست ظاهرة تدمير البيوت التقليدية على قرية صفّا بشكل واضح، حيث تم خلال السنوات الخمس الأخيرة تدمير سبعة أحواش بالكامل، وأن المتبقي منها أصبح عرضة للهدم. وللحفاظ على التراث المعماري في القرية فإنه من الضرورة ايلآء بعض الأحواش الاهمية بصيانتها، وبترميمها، مع مراعاة الانسجام بين الماضي والحاضر، لإعادة استخدامها كمراكز حرفية، أو كمقار لمؤسسات رسمية، أو كمتاحف ...الخ.

المصادر والمراجع العربية

- البغدادي، شهاب الدين. (١٩٦٦). معجم البدان. ج٥. دار بيروت، ودار صادر للطباعة والنشر. بيروت، لبنان.
- الجبور، مصطفى. (٢٠٠٠). "البيوت التقليدية في بلدة يطا - دراسة اثرية ومعمارية". رسالة ماجستير غير منشورة. برنامج الدراسات العليا، جامعة القدس، المعهد العالي للاثار. القدس، فلسطين.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (١٩٩٩). التعداد العام للسكان والمنشات- ١٩٩٧. النتائج النهائية. تقرير السكان- محافظة رام الله والبيرة. الجزء الأول. رام الله، فلسطين.
- المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي. (٢٠٠٣أ). عابود، الدليل السياحي. تحرير: د. عادل يحيى. المؤسسةالفلسطينية للتبادل الثقافي. رام الله، فلسطين.

(٥٤) للمزيد من المعلومات حول عوامل الدمار المؤثرة على الممتلكات الثقافية أنظر (حمدان، ٢٠٠٤، ص ٩٨-١٣١).

- المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي. (٢٠٠٣ب). بني زيد، الدليل السياحي. تحرير: معاوية الريماوي، وندى الشعيبي، ود. حسين الريماوي، و د. عادل يحيى. المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي. رام الله، فلسطين.

- المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي. (٢٠٠٣ج). عطارة، الدليل السياحي. تحرير: ثائر عطاري، و د. عادل يحيى. المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي. رام الله، فلسطين.

- الهودلية، صلاح. (٢٠٠٣). نسب عشيرة الأمير محمد قراجا في قرية صفّا. مجد للدعاية والاعلان والطباعة. رام الله، فلسطين.

- الهودلية، صلاح. (٢٠٠٤). معاصر العنب المكتشفة في قرية صفّا من الفترتين الرومانية والبيزنطية. في: مقالات أثرية بالمناسبة العشرية. تحرير د. مروان أبو خلف، ود. صلاح الهودلية. المطبعة العربية الحديثة. القدس، فلسطين. ٦-٣٠.

- بيفرس، ميشيل. (١٩٩٣). المساكن التقليدية في جنوب الأردن: قرى عيمة، وضانا، وخربة النوافلة. عمان، الأردن.

- حمدان، أسامة. (٢٠٠٤). عوامل الدمار والضرر التي تؤثر على الممتلكات الثقافية الناتجة عن النشاط الانساني في فلسطين. في: مقالات أثرية بالمناسبة العشرية. تحرير د. مروان أبو خلف، ود. صلاح الهودلية.: المطبعة العربية الحديثة. القدس، فلسطين. ٩٨-١٣١.

- حمدان، عمر. (١٩٩٦). العمارة الشعبية في فلسطين. مطبعة أوفست حسن أبو دلو. القدس، فلسطين.

- ربيع، وآخرون. (١٩٨٧). دراسات في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، قرية ترمسعيا. جمعية انعاش الأسرة. رام الله، فلسطين.

- عرّاف، شكري. (١٩٨٦). القرية العربية الفلسطينية "مبنى واستعمالات أرض". ط ٢. مطبعة أوفست حسن أبو دلو. القدس، فلسطين.

- عيّاش، ميرفت. (٢٠٠٠). "العمارة السكنية التقليدية في جنين العثمانية (نظام الحوش)". رسالة ماجستير، غير منشورة. برنامج الدراسات العليا، جامعة القدس، المعهد العالي للاثار. القدس، فلسطين.

- غالب، عبد الرحيم. (١٩٨٨). موسوعة العمارة الإسلامية. جروس برس. بيروت، لبنان.

المصادر والمراجع الأجنبية

- Amiry, S. and Tamari, V. (2003) The Palestinian Village Home. 2nd edition. Arti Grafiche Motta. Italy.
- Canaan, T. (1933). The Palestinian Arab House, its Architecture and Folklore. Syrian Orphange Press. Jerusalem, Palestine.
- Dalman, G. (1941). Arbeit und Sitte in Palaestina. Vol. VI. Bertelsman. Leibzig und Hildesheim, Germany.
- Hawari, M. (2004). "Bait Ur al-Fauqa: a Medieval and Ottoman Village on the Ancient Road between Jerusalem and the Coastal Plain". Levant 36. 251- 270.
- Hirschfeld, y. (1995). The Palestinian Dwelling in the Roman-Byzantine Period. Franciscan Printing Press. Jerusalem, Palestine.

الخرائط

١. خارطة محافظة رام الله. إعداد وانتاج وزارة النقل والمواصلات، المركز الجغرافي الفلسطيني. بدون تاريخ.
٢. خارطة كنتورية، وتوزيع طرق المواصلات، والأبنية في قرية صفّا خلال عام ١٩٩٢. إعداد م. محمد حماد.

مقابلات شخصية اجراها الباحث في شهر ٧، و٨، و٩ من عام ٢٠٠٤ مع مالكي الحوش، ومع كبار السن في قرية صفّا

١. السيد جمعة حسن ناصر، ٥٣ سنة.
٢. السيد دولار عطية ناصر، ٦٢ سنة.
٣. السيد سعيد نمر ناصر، ٧٢ سنة.
٤. السيد شعيب رجب ناصر، ٧٠ سنة.
٥. السيد شكري خليل ناصر ، ٨١ سنة.
٦. السيد عبد الرحمن احمد ناصر، ٨٠ سنة.
٧. السيد عبد الفتاح سمارة ناصر، ٩٥ سنة.

٨. السيد عمر هلال ناصر، ٤٥ سنة.
٩. السيد عطية العبد جبر ناصر، ٥٠ سنة.
١٠. السيد كمال زهدي ، ٧٢ سنة.
١١. السيد محمد عبد القادر ناصر، ٦٥ سنة.
١٢. السيد محمود سليم ناصر، ٤٢ سنة.
١٣. السيد نائل حسين ناصر، ٤١ سنة.